رسالة
نحو النور

رجب الفرد ١٣٥٥هـ - أكتوبر ١٩٣٦م

تقـديم

من مبادئ دعوة الإخوان المسلمين تقديم النصيحة وشرح الدعوة للكافة، وأولى هؤلاء بالنصح الحكام عملاً بقول رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم: «الدين النصيحة». قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[(١)]، وعلى ذلك أرسل الإمام البنا هذه الرسالة إلى الحكام والملوك يوضح لهم حال الأمة، وضرورة النهوض بها على أساس من الكتاب والسنة.

وقد صدرت هذه الرسالة عن لجنة نشر رسائل الإخوان المسلمين بالمركز العام في رجب ١٣٥٥هـ الموافق أكتوبر ١٩٣٦م، وأعادت النذير نشرها مرة أخرى في العدد (٣٦) من السنة الثانية الصادر بتاريخ ١٧ رمضان ١٣٥٨هـ الموافق ٣١ أكتوبر ١٩٣٩م، وقد اعتمدنا في توثيق تلك الرسالة على المصدرين.

* * *

(١) أخرجه مسلم في «الإيمَانِ»، باب: «بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ»، ح(٨٢).

نحو النور[1]

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدا﴾ [الكهف: ١٠].

القاهرة عاصمة الديار المصرية في رجب الفرد ١٣٥٥هـ[2]

---

(١) مجلة النذير، العدد (٣٦)، السنة الثانية، ١٧ رمضان ١٣٥٨هـ- ٣١ أكتوبر ١٩٣٩م، ص(٣-١٨).

(٢) أخذت جميع طبعات الرسائل بأن تاريخ هذه الرسالة هو سنة ١٣٦٦هـ، اعتمادًا على كتيبات كانت معنية بنشر رسائل الإخوان المسلمين، ففي عام ١٣٦٦هـ الموافق ١٩٤٧م قامت لجنة نشر رسائل الإخوان المسلمين بالمركز العام بطبع كتيب بعنوان: «الرسائل الثلاث: ١- دعوتنا ٢- إلى أي شيء ندعو الناس ٣- نحو النور»، وكان ضمن سلسلة عنوانها: «من رسائل الإخوان المسلمين».

وقد قدمت لجنة النشر لهذه الرسالة بقولها: «في رجب من سنة ١٣٥٥ الهجرية بعث الأستاذ المرشد العام للإخوان المسلمين بهذا الخطاب إلى حضرة صاحب الجلالة (الملك فاروق) الأول ملك مصر، وإلى حضرة صاحب المقام الرفيع (مصطفى النحاس باشا) رئيس حكومتها حينذاك، وإلى حضرات أصحاب الجلالة والسمو ملوك وأمراء وحكام بلدان العالم الإسلامي المختلفة، كما بعث به كذلك إلى عدد عظيم من كبار البارزين في هذه البلدان من ذوي الصفات الدينية والدنيوية، وها نحن أولاء نعيد طبعه وتوزيعه الآن للمرة الخامسة، فلا زالت كثير من النظريات التي تضمنها والتوجيهات التي اشتمل عليها أمنية عزيزة لكل عربي ولكل مسلم نسأل الله تحقيقها».

ورغم ذلك فإنها غيرت في تاريخ الرسالة الداخلي فجاء فيها: «القاهرة عاصمة الديار المصرية في رجب الفرد ١٣٦٦هـ».

ثم زاد الخطأ في طبعة تالية تحت نفس العنوان: «الرسائل الثلاث» نشرتها دار الكتاب العربي بمصر في بداية الخمسينيات من القرن الماضي، ونقلت نفس المقدمة السابقة مع بعض الحذف، وغيرت تاريخ الخطاب فقالت: «في رجب من سنة ١٣٦٦ الهجرية بعث الإمام الشهيد حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين بهذا الخطاب إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان، وإلى حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس حكومتها حينذاك، وإلى حضرات أصحاب الجلالة والسمو ملوك وأمراء وحكام بلدان العالم الإسلامي المختلفة، كما بعث به كذلك إلى عدد عظيم من كبار البارزين في هذه البلدان من ذوي الصفات الدينية والدنيوية، وها نحن أولاء نعيد طبعه وتوزيعه الآن، فلا زالت كثير من النظريات التي تضمنها والتوجيهات التي اشتمل عليها أمنية عزيزة لكل عربي ولكل مسلم، نسأل الله تحقيقها».

فهي هنا غيرت في المقدمة التي نقلتها عن الطبعة السابقة، وكذلك أبقت على الخطأ في متن الخطاب وهو «القاهرة عاصمة الديار المصرية في رجب الفرد ١٣٦٦هـ».

حضرة صاحب...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد...

فإنما حملنا على التقدم بهذه الرسالة إلى مقامكم الرفيع رغبة أكيدة في توجيه الأمة التي استرعاكم الله أمرها، ووكل إليكم شأنها في «عهدها الجديد»، توجيها صالحا يقيمها على أفضل المسالك، ويرسم لها خير المناهج، ويجنبها التجارب المؤلمة الطويلة، ويقيها التزلزل والاضطراب.

ولسنا نبغي من وراء ذلك شيئًا إلا أن نكون قد أدينا الواجب وتقدمنا بالنصيحة. وثواب الله خير وأبقى.

تبعة الراعي:

يا صاحب:

إنَّ الله وكل إليكم أمر هذه الأمة، وجعل مصالحها وشئونها وحاضرها ومستقبلها أمانة لديكم ووديعة عندكم، وأنتم مسئولون عن ذلك كله بين يدي الله تبارك وتعالى، ولئن كان الجيل الحاضر عدتكم، فإن الجيل الآتي من غرسكم، وما أعظمها أمانة وأكبرها تبعة أن يسأل الرجل عن أمة: «وكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته»(١).

وقديمًا قال الإمام العادل: «لو عثرت بغلة بالعراق لرأيتني مسئولاً عنها بين يدي الله تبارك وتعالى لِمَ لَم أسوِّ لها الطريق؟».

وصوَّر الإمام عمر بن الخطاب عظيم التبعة في جملة فقال: «لوددت أن أخرج منها كفافًا لا لي ولا علي»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في «الْجُمُعَةِ»، باب: «الْجُمُعَةِ فِي الْقُرَى وَالْمُدُنِ»، ح(٨٤٤)، ومواضع أخر، ومسلم في «الإِمَارَةِ»، باب: «فَضِيلَةِ الإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ وَالْحَثُّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ»، ح(٣٤٠٨).

(٢) انظر: المحب الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة، ص(١٩١).

مقدمـــــات:

(أ) عهد الانتقال:

وإن أخطر العهود في حياة الأمم وأولاها بتدقيق النظر عهد الانتقال من حال إلى حال، إذ توضع مناهج العهد الجديد وترسم خططه وقواعده التي يراد تنشئة الأمة عليها والتزامها إياها، فإذا كانت هذه الخطط والقواعد والمناهج واضحة صالحة قويمة فبشر هذه الأمة بحياة طويلة مديدة وأعمال جليلة مجيدة، وبشر قادتها إلى هذا الفوز، وأدلتها في هذا الخير بعظيم الأجر وخلود الذكر وإنصاف التاريخ وحسن الأحدوثة.

(ب) على مفترق طريقين:

ولقد كانت المهمة ذات شطرين:

أولهما: تخليص الأمة من قيودها السياسية حتى تنال حريتها، ويرجع إليها ما فقدت من استقلالها وسيادتها.

وثانيهما: بناؤها من جديد لتسلك طريقها بين الأمم، وتنافس غيرها في درجات الكمال الاجتماعي.

والآن وقد وضع النضال السياسي أوزاره إلى حين، وأصبحتم تستقبلون بالأمة عهدا جديدا، فإنكم سترون أمامكم طريقين، كل منهما يهيب بكم أن توجهوا الأمة وجهته وتسلكوا بها سبيله، ولكل منهما خواصه ومميزاته وآثاره ونتائجه ودعاته ومروجوه. فأما الأول فطريق الإسلام وأصوله وقواعده وحضارته ومدنيته، وأما الثاني فطريق الغرب ومظاهر حياته ونظمها ومناهجها.

وعقيدتنا: أن الطريق الأول طريق الإسلام وقواعده وأصوله هو الطريق الوحيد الذي يجب أن يسلك وأن توجه إليه الأمة في كل شئونها، وأن الطريق الثاني أخطر شيء على حياة الأمة الحاضرة والمستقبلة.

(ج) مزايا التوجيه الإسلامي:

وإننا إذا سلكنا بالأمة هذا المسلك استطعنا أن نحصل على فوائد كثيرة؛ منها أن المنهاج الإسلامي قد جرب من قبل وشهد التاريخ بصلاحيته، وأخرج للناس أمة من أقوى الأمم وأفضلها وأرحمها وأبرها وأبركها على الإنسانية جميعًا؛ وله من قدسيته

واستقراره في نفوس الناس ما يسهل على الجميع تناوله وفقهه والاستجابة له والسير عليه متى وجهوا إليه، فضلاً عن الاعتزاز بالقومية والإشادة بالوطنية الخالصة، إذ إننا نبني حياتنا على قواعدنا وأصولنا ولا نأخذ عن غيرنا، وفي ذلك أفضل معاني الاستقلال الاجتماعي والحيوي بعد الاستقلال السياسي.

وفي السير على هذا المنهاج تقوية للوحدة العربية أولاً، ثم للوحدة الإسلامية ثانيًا، فيمدنا العالم الإسلامي كله بروحه وشعوره وعطفه وتأييده، ويرى فينا إخوة ينجدهم وينجدونه ويمدهم ويمدونه، وفي ذلك ربح أدبي كبير لا يزهد فيه عاقل.

وهذا المنهاج تام شامل، كفيل بتقرير أفضل النظم للحياة العامة في الأمة عملية وروحية. وهذه هي الميزة التي يمتاز بها الإسلام، فهو يضع نظم الحياة للأمم على أساسين مهمين: أخذ الصالح وتجنب الضار.

فإذا سلكنا هذا السبيل استطعنا أن نتجنب المشاكل[1] الحيوية التي وقعت فيها الدول الأخرى التي لم تعرف هذا الطريق ولم تسلكه، بل استطعنا أن نحل كثيرًا من المشاكل المعقدة التي عجزت عن حلها النظم الحالية، وإنا نذكر هنا كلمة برنارد شو: «ما أشد حاجة العالم في عصره الحديث إلى رجل (كمحمد) يحل مشاكله القائمة المعقدة بينما يتناول فنجانًا من القهوة».

وبعد ذلك كله، فإننا إذا سلكنا هذه السبيل، كان تأييد الله من ورائنا، يقوينا عند الوهن، وينقذنا في الشدائد، ويهون علينا المشاق، ويهيب بنا دائمًا إلى الأمام: ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

(د) المدنية الغربية الآن:

ومن تمام هذا البحث أن نقول: إن مدنية الغرب، التي زهت بجمالها العلمي حينًا من الدهر، وأخضعت العالم كله بنتائج هذا العلم لدوله وأممه، هي الآن تفلس وتندحر، وتندك أصولها، وتنهدم نظمها وقواعدها، فهذه أصولها السياسية تقوضها الدكتاتوريات، وأصولها الاقتصادية تجتاحها الأزمات، ويشهد ضدها ملايين البائسين من العاطلين

---

(١) في الكتيب: «المشكلات».

والجائعين، وأصولها الاجتماعية تقضي عليها المبادئ الشاذة والثورات المندلعة في كل مكان، وقد حار القوم في علاج شأنها وضلوا السبيل، مؤتمراتهم تفشل، ومعاهداتهم تخرق، ومواثيقهم تمزق، وعصبة أممهم شبح لا روح فيه ولا نفوذ له، ويد العظيم فيهم توقع مع غيره ميثاق السلام والطمأنينة في ناحية، بينما تلطمه الثانية في ناحية أخرى أقسى اللطمات، وهكذا أصبح العالم -بفضل هذه السياسات الجائرة الطامعة- سفينة في وسط اليم، حار ربانها، وهبت عليها العواصف من كل مكان. الإنسانية كلها معذبة شقية قلقة مضطربة، وقد اكتوت بنيران المطامع والمادة، فهي في أشد الحاجة إلى عذب من سؤر[1] الإسلام الحنيف يغسل عنها أوضار الشقاء ويأخذ بها إلى السعادة.

لقد كانت قيادة الدنيا في وقت «ما» شرقية بحتة، ثم صارت بعد ظهور اليونان والرومان غربية، ثم نقلتها النبوات الموسوية والعيسوية والمحمدية إلى الشرق مرة ثانية، ثم غفا الشرق غفوته الكبرى، ونهض الغرب نهضته الحديثة، فكانت سنة الله التي لا تتخلف، وورث الغرب القيادة العالمية، وها هو الغرب يظلم ويجور ويطغى ويحار ويتخبط، فلم يبق إلا أن تمتد يد «شرقية» قوية، يظللها لواء الله، وتخفق على رأسها راية القرآن، ويمدها جند الإيمان القوي المتين، فإذا بالدنيا مسلمة هانئة، وإذا بالعوالم كلها هاتفة: ﴿الْحَمْدُ للهِ الذي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ليس ذلك من الخيال في شيء، بل هو حكم التاريخ الصادق، إن لم يتحقق بنا، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

بيد أننا نحرص على أن نكون ممن يحوزون هذه الفضيلة، ويكتبون في ديوان هذا الشرف، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

الإسلام كفيل بإمداد الأمة الناهضة بما تحتاج إليه:

ليس في الدنيا نظام يمد الأمة الناهضة بما تحتاج إليه من نظم وقواعد وعواطف ومشاعر كما يمد الإسلام بذلك كله أممه الناهضة، ولقد امتلأ القرآن الكريم بتصوير هذه الناحية خاصة، وضرب الأمثال فيها بالإجمال تارة وبالتفصيل تارة أخرى، وعالج هذه

(١) السُّؤْرُ، بالضَّمِّ: البَقِيَّةُ من كلِّ شيْءٍ، والفَضْلَةُ. [تاج العروس، مادة (سأر) و(حضج)].

النواحي علاجًا دقيقًا واضحًا، لا تأخذ به أمة حتى تصل إلى ما تريد.

أ -الإسلام والأمل:

تحتاج الأمة الناهضة إلى الأمل الواسع الفسيح، وقد أمد القرآن أممه بهذا الشعور بأسلوب يخلق من الأمة الميتة أمة كلها حياة وهمة وأمل وعزم، وحسبك أنه يجعل اليأس سبيلاً إلى الكفر والقنوط من مظاهر الضلال، وإن أضعف الأمم إذا سمعت قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ [القصص: ٥-٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٩-١٤٠].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الذي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ الله فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر:٢].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ الله أَلا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

إنّ أضعف الأمم إذا سمعت هذا التبشير كله، وقرأت ما إليه من قصص تطبيقية واقعية، لابد أن تخرج بعد ذلك أقوى الأمم إيمانًا وأرواحًا، ولابد أن ترى في هذا الأمل ما يدفعها إلى اقتحام المصاعب مهما اشتدت، ومقارعة الحوادث مهما عظمت، حتى تظفر بما تصبو إليه من كمال.

ب - الإسلام والعزة القومية:

وتحتاج الأمم الناهضة إلى الاعتزاز بقوميتها كأمة فاضلة مجيدة لها مزاياها وتاريخها، حتى تنطبع الصورة في نفوس الأبناء، فيفدون ذلك المجد والشرف بدمائهم وأرواحهم، ويعملون لخير هذا الوطن وإعزازه وإسعاده.

هذا المعنى لن تراه[1] واضحًا في نظام من النظم عادلاً فاضلاً رحيمًا كما هو في الإسلام الحنيف، فإن الأمة التي تعلم أن كرامتها وشرفها قد قدسه الله في سابق علمه وسجله في محكم كتابه فقال تبارك وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، لهي أجدر الأمم بافتداء عزتها الربانية بالدنيا وما فيها.

ولقد عملت الأمم الحديثة على ترسيخ هذا المعنى في نفوس شبابها ورجالها وأبنائها جميعا، ومن هنا سمعنا: «ألمانيا فوق الجميع»، و«إيطاليا فوق الجميع»، «وسودي يا بريطانيا واحكمي». ولكن الفارق بين الشعور الذي يمليه المبدأ الإسلامي وبين الشعور الذي أملته هذه الكلمات والمبادئ، أن شعور المسلم يتسامى حتى يتصل بالله، على حين ينقطع شعور غيره عند حد القول[2] فقط هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الإسلام حدد[3] الغاية من خلق هذا الشعور وشدد في التزامها، وبين أنها ليست العصبية الجنسية والفخر الكاذب بل قيادة العالم إلى الخير، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ومعنى ذلك مناصرة الفضيلة، ومقارعة الرذيلة، واحترام المثل الأعلى وملاحظته عند كل عمل. ولهذا أنتج الشعور بهذه السيادة في السلف المسلم منتهى ما أثر عن الأمم من عدالة ورحمة، أما مبدأ السيادة في نفس الأمم الغربية فلم يحدد غايته بغير العصبية الخاطئة، ولهذا أنتج التناحر والعدوان على الأمم الضعيفة، فكأن المبدأ الإسلامي أخذ خير ما في هذه الناحية، وأراد أن ينطبع بذلك أبناؤه، وجنبهم ما فيها من شر وطغيان، ولقد وسع الإسلام حدود الوطن الإسلامي، وأوصى بالعمل لخيره، والتضحية في سبيل حريته وعزته؛ فالوطن في عرف الإسلام يشمل:

١- القطر الخاص أولاً.

٢- ثم يمتد إلى الأقطار الإسلامية الأخرى فكلها للمسلم وطن ودار.

---

(١) في الكتيب: «نراه».
(٢) في الكتيب: «والقول».
(٣) في الكتيب: «حذر».

٣- ثم يرقى إلى الإمبراطورية الإسلامية الأولى التي شادها الأسلاف بدمائهم الغالية العزيزة فرفعوا عليها راية الله، ولا تزال آثارهم فيها تنطق بما كان لهم من فضل ومجد، فكل هذه الأقاليم يُسأل المسلم بين يدي الله تبارك وتعالى: لماذا لم يعمل على استعادتها؟

٤- ثم يسمو وطن المسلم بعد ذلك كله حتى يشمل الدنيا جميعًا، ألست تسمع قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله﴾ [الأنفال: ٣٩].

وبذلك يكون الإسلام قد وفق بين شعور الوطنية الخاصة وشعور الوطنية العامة بما فيه الخير كل الخير للإنسانية جميعًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣].

ج -الإسلام والقوة الجندية:

وتحتاج كذلك الأمم الناهضة إلى القوة وطبع أبنائها بطابع الجندية، ولاسيما في هذه العصور التي لا يضمن فيها السلم إلا بالاستعداد للحرب، والتي صار شعار أبنائها جميعًا: «القوة أضمن طريق لإحقاق الحق».

والإسلام لم يغفل هذه الناحية، بل جعلها فريضة محكمة من فرائضه، ولم يفرق بينها وبين الصلاة والصوم في شيء، وليس في الدنيا كلها نظام عني بهذه الناحية -لا في القديم ولا في الحديث- كما عني بذلك الإسلام في القرآن وفي حديث الرسول(١) ﷺ وسيرته، وإنك لترى ذلك ماثلا واضحا في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وفي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وهل رأيت منشورًا عسكريًّا في كتاب مقدس يتلى في الصلاة والذكر والعبادة والمناجاة كهذا المنشور الذي يبتدئ بالأمر المنجز في قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الله الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾، ثم يبين الجزاء بعد ذلك: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الله فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤].

(١) في الكتيب: «رسول الله».

ثم يتلو ذلك باستثارة أنبل العواطف في النفوس وهي استنقاذ الأهل والوطن فيقول: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

ثم يوضح لهم شرف غايتهم ودناءة غاية عدوهم، ليبيّن لهم أنهم يجودون بثمن غال -هو الحياة- على سلعة غالية تستحقه وتربي عليه وهي رضوان الله، على حين يقاتل غيرهم لغير غاية، فهم أضعف نفوسًا وأخوى أفئدة، فذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ[1] آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

ثم يندد بالذين جبنوا عن أداء الواجب، وأخذوا التكاليف السهلة وتركوا تكاليف البطولة، ويبين لهم خطأ موقفهم هذا، وأن الإقدام لن يضرهم شيئا بل سيكسبون به الجزاء الكبير، والإحجام لا يغنيهم شيئًا، فالموت من ورائهم لا محالة، فيقول بعد الآيات السابقة مباشرة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ الله أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ۞ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٧-٧٨].

بربك أي منشور عسكري في هذه القوة وفي هذا الوضوح يبعث في نفس الجندي كل ما يريد القائد من همة وعزم وإيمان؟

وإذا كان قوام الحياة العسكرية في عرفهم أمرين: هما النظام والطاعة، فقد جمعهما[2] الله في آيتين من كتابه فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، كما قال تعالى: ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ ۞ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢٠-٢١].

(١) في «النذير» و«الكتيب»: «والذين».
(٢) في «النذير»: «جمعها».

وإنك إذا قرأت ما جاء به الإسلام في إعداد العدة واستكمال القوة وتعليم الرمي ورباط الخيل، وفضل الشهادة وأجر الجهاد وثواب النفقة فيه ورعاية أهله واستيعاب صنوفه، لرأيت من ذلك ما لا يحصيه الحصر، سواء في الآيات الكريمة أو الأحاديث الشريفة أو السير المطهرة أو الفقه الحنيف: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩].

عنيت بذلك الأمم الحديثة فبنت أنفسها على هذه القواعد، ورأينا أساس فاشستية موسوليني ونازية هتلر وشيوعية ستالين أساسا عسكريا بحتا، ولكن الفرق بين ذلك كله وبين عسكرية الإسلام فرق عظيم، فإن الإسلام الذي قدس القوة هذا التقديس، هو الذي آثر عليها السلم، فقال تبارك وتعالى بعد آية القوة مباشرة: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

وهو الذي حدد ثمن النصر ومظاهره فقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

وهو الذي وضع أساس القانون الدولي الحربي، فقال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

ولأمر ما كانت وصية الرسول ﷺ وخلفائه من بعده لقواد جنودهم أروع مظاهر الرحمة والرفق: «لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا»[(١)]، «ولا تقتلوا امرأة ولا طفلاً ولا شيخًا كبيرًا، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تعقروا بعيرًا إلا للأكل. ولا تتبعوا مدبرًا، ولا تجهزوا على جريح، وستمرون على أقوام ترهبوا في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له»[(٢)].

كذلك كانت العسكرية في الإسلام «بوليس العدالة وشرطة القانون والنظام»، أما عسكرية أوروبا الآن فقد علم الناس جميعا عنها أنها «جيش الظلم وجند المطامع»، فأي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا؟

---

(١) أخرجه مسلم، في «الجهاد والسير»، باب: «تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها»، (١٧٣١).

(٢) ابن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، (٢/ ٢٤٦)، وهذا قول أبي بكر الصديق في وصيته لأسامة بن زيد.

د - الإسلام والصحة العامة

ولما كانت الأمم الناهضة في حاجة إلى هذه الجندية الفاضلة، وكان قوام هذه الجندية صحة الأبدان وقوة الأجسام، فقد أشار القرآن إلى هذا المعنى في سياق قصة أمة مجاهدة تحفزت للنهوض بعبء النضال في سبيل حريتها واستقلالها وتكوين نفسها، فاختار الله لها زعيمًا قوي الفكر قوي الخلق، وجعل من أركان نهوضه بعبئه قوة بدنه، فذلك ما حكاه القرآن الكريم عن بني إسرائيل في تزكية الزعيم طالوت: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

ولقد شرح الرسول ﷺ هذا المعنى في كثير من أحاديثه، وحث المؤمنين على المحافظة على قوة أبدانهم، كما حثهم على قوة أرواحهم، فالحديث الصحيح يقول: «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف»[(١)]، ويقول: «إن لبدنك عليك حقًا»[(٢)].

ولقد بيَّن رسول الله ﷺ للأمة كثيرًا من قواعد الصحة العامة وبخاصة في علم الوقاية، وهو أفضل شطري الطب فقوله ﷺ: «نحن قوم لا نأكل إلا إذا جعنا وإذا أكلنا لا نشبع»[(٣)]، وتحريه ﷺ فيما يشرب من ماء، فقد جاء في الحديث: «كان ﷺ يستعذب

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في «الْقَدَرِ»، باب: «فِي الأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ للهِ»، ح(٤٨١٦)، وتمامه: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِي خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِالله وَلا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

(٢) أخرجه الهيثمي في «المجمع»، (٧/ ٢٣٩)، وقال: «في الصحيح بعض أوله رواه الطبراني من رواية عبد الملك ابن قدامة الجمحي عن عمرو بن شعيب وعبد الملك وثقه ابن معين وغيره وضعفه أبو حاتم وغيره»، أما ما ورد في الصحيح فهو ما أخرجه البخاري في «الصَّوْمِ»، باب: «حَقِّ الْجِسْمِ فِي الصَّوْمِ»، ح(١٨٣٩) ومواضع أخر من أن النبي ﷺ قال لعبد الله بن عمرو بن العاص: «فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا».

(٣) شاع بين الناس حديث: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع»؛ حيث إنهم ينسبونه إلى النبي ﷺ وليس له أصل، ولا يوجد في أي مصدر من كتب الرواية، وهذا الحديث ذكره صاحب «السيرة الحلبية» فقال (٣/ ٢٩٩): «وقد قال بعضهم: إن المقوقس أرسل مع الهدية طبيبًا فقال له النبي ﷺ: «ارجع إلى أهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع»، ولكن ذلك من غير إسناد فلا فائدة في ذلك. وقال العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- في السلسلة

الماء»[1]، ونهيه عن البول والتبرز في المياه الراكدة، وإعلانه الحجر الصحي على البلد المطعون وأهله، فلا يتركونه ولا ينزله غيرهم، وتحذيره من العدوى وطلب الفرار من المجذوم[2]، وأخيرًا عنايته ﷺ بكثير من فروع رياضة البدن كالرمي والسباحة والفروسية والعدو، وحثه أمته عليها وعلى العناية بها حتى جاء في الحديث: «من علم الرمي ثم نسيه فليس مني»[3]، ونهيه ﷺ نهيًا مشددًا عن التبتل والترهب وتعذيب الجسوم وإضوائها[4] تقربًا إلى الله تبارك وتعالى، وإرشاده الأمة إلى جانب الاعتدال في ذلك كله، كل هذا ينطق بعناية الإسلام البالغة بصحة الأمة العامة وتشديده في المحافظة عليها وإفساح صدره لكل ما فيه خيرها وسعادتها من هذا الجانب الهام.

هـ - الإسلام والعلم

وكما تحتاج الأمم إلى القوة كذلك تحتاج إلى العلم الذي يؤازر هذه القوة ويوجهها أفضل توجيه، ويمدها بما تحتاج إليه من مخترعات ومكتشفات، والإسلام لا يأبى العلم،

الصحيحة (المجلد السابع القسم الثالث صفحة ١٦٥١و١٦٥٢): «لا أصل له». وقد قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله- في «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٢٢-١٢٣) عندما سئل عن صحة حديث: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع»: «هذا يروى عن بعض الوفود وفي سنده ضعف»، يروى أنهم قالوا عن النبي ﷺ: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع» يعنون أنهم مقتصدون. هذا المعنى صحيح لكن السند فيه ضعيف. [يراجع في زاد المعاد والبداية لابن كثير].

لكن وردت أحاديث أخرى في نفس المعنى، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده (٣٥/ ٤٧)، عن الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ طَعَامٍ، وَثُلُثٌ شَرَابٍ، وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ»، وقد صححه الألباني في «صحيح الجامع»، ح(٥٦٧٤).]

(١) أخرج أبو داود في «الأَشْرِبَةِ»، باب: «فِي إِيكَاءِ الآنِيَةِ»، ح(٣٢٤٦) من طريق عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُسْتَعْذَبُ لَهُ الْمَاءُ مِنْ بُيُوتِ السُّقْيَا. وقد صححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح(٣٧٣٥).

(٢) في الكتيب: «المجزوم».

(٣) أخرج ابن ماجه في «الْجِهَادِ»، باب: «الرَّمْيِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ح(٢٨٠٤) من طريق عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ تَعَلَّمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ فَقَدْ عَصَانِي»، وقد صححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»، ولكن بلفظ: «فليس منا».

(٤) أي: إضعافها. والضوى: الهزال. [الصحاح، مادة (ضوا)].

بل يجعله فريضة من فرائضه كالقوة تمامًا ويقدسه ويناصره، وحسبك أن أول آية نزلت من كتاب الله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝ الذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

وأن رسول الله ﷺ قد جعل من فداء المشركين في بدر أن يعلم أحدهم من الأسرى عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، عملاً على محو الأمية عن الأمة، ولم يسو الله بين العلماء وبين الجاهلين، فقال تبارك وتعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، وقد وزن الإسلام مداد العلماء بدم الشهداء، ولازم القرآن بين العلم والقوة في الآيتين الكريمتين: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٢-١٢٣].

ولم يفرق القرآن بين علم الدنيا وعلم الدين، بل أوصى بهما جميعًا، وجمع علوم الكون في آية واحدة، وحث عليها وجعل العلم بها سبيل خشيته وطريق معرفته، فذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وفي ذلك إشارة إلى الهيئة والفلك وارتباط السماء بالأرض، ثم قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾، وفي ذلك الإشارة إلى علم النبات وغرائبه وعجائبه وكيميائه، ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾، وفي ذلك الإشارة إلى علم الجيولوجيا وطبقات الأرض وأدوارها وأطوارها، ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾، وفيها الإشارة إلى علم البيولوجيا والحيوان بأقسامه من إنسان وحشرات وبهائم، فهل ترى هذه الآية غادرت شيئا من علوم الكون؟ ثم يردف ذلك كله بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

أفلست ترى من هذا التركيب العجيب أن الله يأمر الناس بدراسة الكون ويحضهم على ذلك، ويجعل العارفين منهم بدقائقه وأسراره هم أهل معرفته وخشيته؟ اللهم فقه المسلمين في دينهم.

و -الإسلام والخلق

والأمة الناهضة أحوج ما تكون إلى الخلق.. الخلق الفاضل القوي المتين والنفس الكبيرة العالية الطموح، إذ إنها ستواجه من مطالب العصر الجديد ما لا تستطيع الوصول إليه إلا بالأخلاق القوية الصادقة من الإيمان العميق والثبات الراسخ والتضحية الكثيرة والاحتمال البالغ، وإنما يخلق هذه النفس الكاملة الإسلام وحده، فهو الذي جعل صلاح النفس وتزكيتها أساس الفلاح، فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

وجعل تغير[1] شئون الأمم وقفًا على تغير أخلاقها وصلاح نفوسها فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وإنك لتسمع الآيات البالغة في مفردات الأخلاق الكريمة فتراها القوة التي لا تغالب في إصلاح النفوس وإعدادها وتزكيتها وتصفيتها، مثل قوله تعالى في الوفاء: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ۞ لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٣-٢٤].

وفي البذل والتضحية والصبر والاحتمال ومغالبة الشدائد: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢٠-١٢١].

وليس كالإسلام عاملاً على إيقاظ الضمير وإحياء الشعور وإقامة رقيب النفس وذلك خير الرقباء، وبغيره لا ينتظم قانون ما إلى أعماق السرائر وخفيات الأمور.

ز -الإسلام والاقتصاد

والأمة الناهضة أحوج ما تكون إلى تنظيم شئونها الاقتصادية، وهي أهم الشئون في هذه العصور، ولم يغفل الإسلام هذه الناحية بل وضع كلياتها ولم يقف أمام استكمال أمرها، وها أنت تسمع قول الله تبارك وتعالى في المحافظة على المال وبيان قيمته ووجوب

(١) في الكتيب: «تغيير».

الاهتمام به: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ التي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥].

ويقول في موازنة الإنفاق والدخل: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].

ويقول رسول الله ﷺ: «ما عال من اقتصد»[١]، وهو كما يصدق في الفرد يصدق في الأمة مع قوله ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»[٢]. وأي نظام اقتصادي فاضل يرحب به الإسلام ويدعو الأمة إلى تشجيعه ولا يقف أبدًا في سبيله، والفقه الإسلامي مملوء بأحكام المعاملات المالية، وقد فصلها تفصيلا لا يدع الزيادة[٣] لمستزيد.

وبعد...

فإن الأمة إذا توفرت لها هذه الدعائم من الأمل والوطنية والعلم والقوة والصحة والاقتصاد فهي بلا شك أقوى الأمم والمستقبل لها، ولاسيما إذا أضيف إلى ذلك أنها قد طهرت من الأثرة والعدوان والأنانية والطغيان، وأصبحت تتمنى الخير للعالم كله، وإن الإسلام قد كفل ذلك فلا حجة لأمة تريد النهوض في النكول[٤] عنه والعدول عن طريقه.

ح - نظم الإسلام العامة:

هذه ناحية واحدة من نواحي الجمال في بعض النظم الإسلامية وهي النظم الخاصة بنهضة الأمم، على اعتبار أننا نستقبل عهد النهضة، أما كل نواحي الجمال في كل النظم الإسلامية فذلك ما يحتاج إلى مجلدات ضخام وبحوث واسعة مترامية الأطراف، وحسبنا أن نقول كلمة مجملة كل الإجمال وهي: إن نظم الإسلام فيما يتعلق [بالفرد أو الأسرة أو الأمة][٥] حكومتها وشعبها، أو صلة الأمم بعضها ببعض، نظم الإسلام في ذلك كله قد

---

(١) أخرجه أحمد في «مسند عبد الله بن مسعود ﷺ»، ح(٤٠٤٨)، وقد ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع»، ح(٥١٠١).

(٢) أخرجه أحمد في «مسند الشاميين»، ح(١٧٠٩٦)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح»، ح(٣٧٥٦).

(٣) في الكتيب: «زيادة».

(٤) في الكتيب: «النكوث».

(٥) في الكتيب: «بالفرد أو الأمة أو الأسرة».

جمعت بين الاستيعاب والدقة وإيثار المصلحة وإيضاحها، وإنها أكمل وأنفع ما عرف الناس من النظم حديثًا أو قديمًا. هذا حكم يؤيده التاريخ ويثبته البحث الدقيق في كل مظاهر حياة الأمة.

ولقد كان هذا الحكم خاصًا فصار الآن عامًا يشهد به كل منصف، وكلما تغلغل الباحثون في بحوثهم كشفوا من نواحي الجمال في هذه النظم الخالدة ما لم يكن قد خطر ببال سلفهم، وصدق الله القائل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

الإسلام يحمي الأقليات ويصون حقوق الأجانب:

يا صاحب:

يظن الناس أن التمسك بالإسلام وجعله أساسًا لنظام الحياة ينافي وجود أقليات غير مسلمة في الأمة المسلمة، وينافي الوحدة بين عناصر الأمة، وهي دعامة قوية من دعائم النهوض في هذا العصر، ولكن الحق غير ذلك بالمرة، فإن الإسلام الذي وضعه الحكيم الخبير الذي يعلم ماضي الأمم وحاضرها ومستقبلها قد احتاط لتلك العقبة وذللها من قبل، فلم يصدر دستوره المقدس الحكيم إلا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح الذي لا يحتمل لبسًا ولا غموضًا في حماية الأقليات، وهل يريد الناس أصرح من هذا النص: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

فهذا نص لم يشتمل على الحماية فقط، بل أوصى بالبر والإحسان إليهم. وإن الإسلام الذي قدّس الوحدة الإنسانية العامة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣].

ثم قدس الوحدة الدينية العامة كذلك، فقضى على التعصب وفرض على أبنائه الإيمان بالأديان السماوية جميعًا في قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۞ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ

صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٦-١٣٨].

ثم قدس بعد ذلك الوحدة الدينية الخاصة في غير صلف ولا عدوان، فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠].

هذا الإسلام الذي بني على هذا المزاج المعتدل والإنصاف البالغ لا يمكن أن يكون اتباعه سببًا في تمزيق وحدة متصلة، بل بالعكس، إنه أكسب هذه الوحدة صفة القداسة الدينية بعد أن كانت تستمد قوتها من نص مدني فقط.

ولقد[1] حدد الإسلام تحديدا دقيقا من يحق لنا أن نناوئهم ونقاطعهم ولا نتصل بهم فقال تعالى بعد الآية السابقة: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩].

وليس في الدنيا منصف واحد يكره أمة من الأمم على أن ترضى بهذا الصنف دخيلاً فيها وفسادًا كبيرًا بين أبنائها ونقضا لنظام شئونها.

ذلك موقف الإسلام من الأقليات غير المسلمة، واضح لا غموض فيه ولا ظلم معه. وموقفه من الأجانب موقف سلم ورفق ما استقاموا وأخلصوا، فإن فسدت ضمائرهم وكثرت جرائمهم فقد حدد القرآن موقفنا منهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ۞ هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨-١١٩].

وبذلك يكون الإسلام قد عالج هذه النواحي جميعًا أدق العلاج وأنجعه وأشفاه.

الإسلام لا يعكر صفو العلائق بيننا وبين الغرب:

وقد يظن الناس كذلك أن نظم الإسلام في حياتنا الجديدة تباعد بيننا وبين الدول الغربية، وتعكر صفو العلائق السياسية بيننا وبينها بعد أن كادت تستقر، وهو أيضًا ظن عريق في الوهم؛ فإن هذه الدول إن كانت تسيء بنا الظنون، فهي لا ترضى عنا سواء

---

(١) في الكتيب: «وقد».

تبعنا الإسلام أم غيره، وإن كانت قد صادقتنا بإخلاص وتبودلت الثقة بينها وبيننا، فقد صرح خطباؤها وساستها بأن كل دولة حرة في النظام الذي تسلكه في داخل أرضها، مادام لا يمس حقوق الآخرين، فعلى ساسة هذه الدول جميعًا أن يفهموا أن شرف الإسلام الدولي هو أقدس شرف عرفه التاريخ، وأن القواعد التي وضعها الإسلام لصيانة هذا الشرف وحفظه أرسخ القواعد وأثبتها.

فالإسلام هو الذي يقول في المحافظة على التعهدات وأداء الالتزامات: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤]، ويقول: ﴿إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، ويقول: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [التوبة: ٧]، ويقول في إكرام اللاجئين وحسن جوار المستجيرين: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦]، وهذا في المشركين فكيف بالكتابيين؟

فالإسلام الذي يضع هذه القواعد ويسلك بأتباعه هذه الأساليب يجب أن يعتبره الغربيون ضمانة أخرى، تضمن لهم الوفاء بمعاهداتهم وأداء التزامات الدول الإسلامية لهم، بل نقول: إنه من خير أوروبا نفسها أن تسودها هذه النظريات السديدة في معاملات دولها بعضها لبعض، فذلك خير لهم وأبقى.

أصول النهضة في الشرق غير أصولها في الغرب:

يا صاحب:

من الأسباب التي دعت بعض الأمم الشرقية إلى الانحراف عن الإسلام واختيار تقليد الغرب دراسة قادتها للنهضة الغربية واقتناعهم بأنها لم تقم إلا بتحطيم الدين وهدم الكنائس، والتخلص من سلطة البابوية وإلجام القساوسة ورجال الكهنوت، والقضاء على كل مظاهر السلطة الدينية في الأمة، وفصل الدين عن سياسة الدولة العامة فصلاً تامًا.

وذلك إن صح في الأمم الغربية فلا يصح أبدًا في الأمم الإسلامية؛ لأن طبيعة التعاليم الإسلامية غير طبيعة تعاليم أي دين آخر، وسلطة رجال الدين المسلمين محصورة محدودة لا تملك تغيير الأوضاع ولا قلب النظم، مما جعل القواعد الأساسية في الإسلام محفوظة على ممر القرون تساير العصور وتدعو إلى الرقي وتعضد العلم وتحمي العلماء،

فما كان هناك لا يصح أن يكون هنا، وتلك بحوث واسعة وضعت فيها الكتب الكثيرة، ومهمتنا في هذه الرسالة أن نلم بالموضوع إلمامة قصيرة من باب التذكرة والقضاء على الشبهات، ونحن على يقين من أن كل منصف معنا في هذه القاعدة، وعلى ذلك فلا يجوز أبدا أن يكون هذا الشعور رائدنا في نهضتنا الجديدة، التي يجب أن ترتكز -أول ما ترتكز- على دعائم قوية من الخلق الفاضل والعلم الغزير والقوة السابغة، وهو ما يأمر به الإسلام.

رجال الدين غير الدين نفسه:

ومن المبررات التي اتخذها بعض الذين سلكوا سبيل الغربيين، أنهم أخذوا يشهرون بمسلك رجال الدين المسلمين من حيث موقفهم المناوئ للنهضة الوطنية، وتجنيهم على الوطنيين وممالأتهم للغاصبين، وإيثارهم المنافع الخاصة والمطامع الدنيوية على مصلحة البلد والأمة، وذلك -إن صح- فهو ضعف في رجال الدين أنفسهم لا في الدين ذاته. وهل يأمر الدين بهذا؟ وهل تمليه سيرة الأجلاء الأفاضل من علماء الأمة الإسلامية الذين كانوا يقتحمون على الملوك والأمراء أبوابهم وسدودهم، فيقرعونهم ويأمرونهم وينهونهم ويرفضون أعطياتهم ويبيّنون لهم الحق ويتقدمون إليهم بمطالب الأمة، بل ويحملون السلاح في وجوه الجور والظلم، وما نسي التاريخ بعد كتيبة الفقهاء في صف ابن الأشعث في شرق الدولة الإسلامية[1]، ولا ثورة القاضي يحيى بن يحيى الليثي

(١) ابن الأشعث [...- ٨٥هـ = ...-٧٠٤م]: عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي: أمير، من القادة الشجعان الدهاة، سيره الحجاج بجيش لغزو بلاد رتبيل (ملك الترك) فيما وراء سجستان. وبدلاً من أن يمضي عبد الرحمن بن الأشعث لأداء المهمة المكلَّف بها، ارتد ثائرًا في واحدة من أعنف الثورات التي هبت في وجه الدولة الأموية؛ حيث وقعت أحداثها عام (٧٠٣-٧٠٤م)، وشجعه على ذلك استجابة أهل العراق للثورة، وكانوا أغلبية في الجيش الذي بلغ عدده مائة ألف مقاتل، وانضم إليه بعض العلماء من كبار التابعين ودعاهم ابن الأشعث بأنه إذا بويع بالخلافة فسيحكم بالعدل، ويعيد حكم الراشدين، ويمحو مظالم بني أمية، وكان منهم: عامر الشعبي، وسعيد بن جبير. وانتهت بخروج ابن الأشعث من الكوفة، فلجأ إلى (رتبيل) فحماه مدة، فوردت عليه كتب الحجاج إذا هو لم يقتل ابن الأشعث أو يقبض عليه، فأمسكه (رتبيل) وقتله وبعث برأسه إلى الحجاج. [السابق، (٣/ ٣٢٣-٣٢٤)].

المالكي[١] في غربها.

هذه تعاليم الدين وهذا ماضي[٢] رجاله من فقهاء المسلمين، فهل فيه شيء من هذا الذي يزعمون؟ وهل من الإنصاف أن يتحمل الدين تبعة رجال انحرفوا عنه؟

على[٣] أن هذه المزاعم إن صحت في قوم فليست صحيحة في الجميع، وإن وقعت لظرف خاص فليست تساير كل الظروف، وهذا تاريخ النهضات الحديثة في الشرق حافل بمواقف رجال الدين المسلمين في كل أمة من الأمم، وما موقف الأزهر في مصر والمجلس الأعلى في سوريا الجنوبية (فلسطين) وسوريا الشمالية (لبنان) ومولانا أبي الكلام[٤] وإخوانه من جلة العلماء في الهند وزعماء المسلمين في إندونيسيا بمنسي ولا بعيد، فتلك إذن مزاعم يجب ألا تتخذ ذريعة لتحويل الأمة عن دينها باسم الوطنية المجردة. أوليس الأنفع للأمة أن تصلح رجال الدين وتصطلح عليهم بدلا من أن تقف منهم الموقف المبيد على أن هذه التعبيرات التي سرت إلينا تقليدا ومنها «رجال الدين» لا تنطبق ولا تتفق مع عرفنا، فإنها إن كانت في الغرب خاصة «بالأكليروس»، فإنها في العرف الإسلامي تشمل كل مسلم، فالمسلمون جميعا من أصغرهم لأكبرهم «رجال دين».

---

(١) هو أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس، أصله من البربر من قبيلة يقال لها: «مصمودة»، تولى بني ليث فنسب إليهم، رحل إلى المشرق، فسمع من مالك بن أنس «الموطأ»، وكان مالك يسمِّيه: «عاقل الأندلس»، وعاد إلى الأندلس، وانتهت إليه الرياسة بها، وبه انتشر مذهب مالك في تلك البلاد، قام بثورة الربض على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بسبب فسقه ومجونه وظلمه، وكان يحيى بن يحيى الليثي زعيم الفقهاء فيها، توفي يحيى في رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين. [أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي الأندلسي القرطبي: تاريخ علماء الأندلس، ص(٢٠٩)- وسير أعلام النبلاء، (١٠/ ٥٢١)، وغيرهم].

(٢) في الكتيب: «ما مضى».

(٣) في الكتيب: «وعلى».

(٤) أبو الكلام آزاد هو «محيي الدين أحمد بن خير الدين» ولد في مكة المكرمة سنة (١٣٠٦هـ=١٨٨٨م)، أما أبو الكلام آزاد فهي كنية ولقب اتخذه لنفسه، وكلمة آزاد تعني في اللغة الأردية: الحر، أما أبو الكلام فهي كنية لكونه كان خطيبًا بارعًا. أما أسرته فلم تكن هندية الأصل، بل وفدت إلى الهند من بلاد الأفغان أيام الإمبراطور الهندي «بابر» الذي أسس الدولة المغولية في الهند سنة (٩٣٢هـ=١٥٢٦م). عاش قرابة السبعين عامًا، قضاها في إيقاظ العقول والضمائر والهمم. وكان الزعيم الهندي «نهرو» يسميه «صاحب الإمامتين»: إمامة الدين وإمامة السياسة. توفي آزاد في (٣ شعبان ١٣٧٧هـ =٢٢ فبراير ١٩٥٨م).

خطوة جريئة ولكنها موفقة:

يا صاحب:

بعد كل ما تقدم لا عذر لنا إن جانبنا طريق الحق (طريق الإسلام)، واتبعنا طريق الشهوات والزخارف (طريق أوروبا)، وفي طريق أوروبا زينة وبهرج، وفيه لذائذ وترف، وفيه تحلل وإباحية، وفيه ما تهوى الأنفس من متعة، وكل ذلك إلى النفس حبيب وقد قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤].

ولكن طريق الإسلام عزة ومنعة، وحق وقوة، وبركة واستقامة، وثبات وفضيلة ونبل، فاسلكوها بالأمة وفقكم الله: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥].

وإنما أهلك الأمم الترف، وإنما زلزلت أوروبا المتع والمطامع: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

وإن الله تبارك وتعالى قد أرسل رسوله رحمة للعالمين إلى يوم القيامة، وبعث معه كتابه الحق نورًا وهدى إلى يوم القيامة، وإن زعامة الرسول ﷺ باقية بسنته، وإن سلطان القرآن قوي بحجته، وإن الإنسانية صائرة إليهما -لا محالة- بعز عزيز أو بذل ذليل، من قريب أو من بعيد حتى يتحقق قول الله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الفتح: ٢٨].

فكونوا أول من يتقدم باسم رسول الله ﷺ بقارورة الدواء من طب القرآن الكريم لاستنقاذ العالم المعذب المريض.

إنها خطوة جريئة ولكنها موفقة -إن شاء الله تعالى[١]- ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤-٥].

---

(١) زيادة من الكتيب.

بعض خطوات الإصلاح العملي:

يا صاحب:

بعدما أوضحنا ما يجب أن يسود الأمة في نهضتنا الجديدة من شعور روحي، نحب أن نعرض ختاما لبعض المظاهر والآثار العملية التي يجب أن يمليها هذا الشعور، وسنذكر هنا رءوس موضوعات فقط، ونحن نعلم تمام العلم أن كل مطلب من هذه المطالب يحتاج إلى بحث فسيح واسع دقيق تتوافر فيه جهود الأخصائيين وكفايتهم، كما أننا نعلم أننا لم نستقص بعد كل حاجيات الأمة ومطالبها ومظاهر النهضة جميعا، ولسنا نعتقد أن تحقيق هذه المطالب من الهنات الهينات بحيث يتم في عشية أو ضحاها، كما أننا نعلم أن كثيرا منها أمامه من العقبات المتشعبة ما يحتاج إلى طول الأناة وعظيم الحكمة وماضي العزيمة، كل ذلك نعلمه ونقدره، ونعلم إلى جانبه أنه إذا صدق العزم وضح السبيل، وأن الأمة القوية الإرادة إذا أخذت في سبيل الخير فهي لابد واصلة إلى ما تريد إن شاء الله تعالى، فلتتوجهوا والله معكم.

أما رءوس مناحي الإصلاح المرتكز على الروح الإسلامي الصحيح فهي:

أولاً: في الناحية السياسية والقضائية والإدارية

١- القضاء على الحزبية وتوجيه قوى الأمة السياسية في وجهة واحدة وصفّ واحد.

٢- إصلاح القانون حتى يتفق مع التشريع الإسلامي في كل فروعه.

٣- تقوية الجيش والإكثار من فرق الشباب وإلهاب حماستها على أسس من الجهاد الإسلامي.

٤- تقوية الروابط بين الأقطار الإسلامية جميعا، وبخاصة العربية منها تمهيدا للتفكير الجدي العملي في شأن (الخلافة) الضائعة.

٥- بث الروح الإسلامي في دواوين الحكومة بحيث يشعر الموظفون جميعا بأنهم مطالبون بتعاليم الإسلام.

٦- مراقبة سلوك الموظفين الشخصي وعدم الفصل بين الناحية الشخصية والناحية العملية.

٧- تقديم مواعيد العمل في الدواوين صيفا وشتاء حتى يعين ذلك على الفرائض ويقضي على السهر الكثير.

٨- القضاء على الرشوة والمحسوبية والاعتماد على الكفاية والمسوغات القانونية فقط.

٩- أن توزن كل أعمال الحكومة بميزان الأحكام والتعاليم الإسلامية، فتكون نظم الحفلات والدعوات والاجتماعات الرسمية والسجون والمستشفيات لا تصطدم بتعاليم الإسلام، وتكون الدوريات في الأعمال على تقسيم لا يتضارب مع أوقات الصلاة.

١٠- استخدام الأزهريين في الوظائف العسكرية والإدارية وتدريبهم.

ثانيًا: في الناحية الاجتماعية والعلمية

١- تعويد الشعب احترام الآداب العامة، ووضع إرشادات معززة بحماية القانون في ذلك الشأن، وتشديد العقوبات على الجرائم الأدبية.

٢- علاج قضية المرأة علاجًا يجمع بين الرقي بها والمحافظة عليها وفق تعاليم الإسلام، حتى لا تترك هذه القضية التي هي أهم قضايا الاجتماع تحت رحمة الأقلام المغرضة والآراء الشاذة من المفرطين والمفرطين[1].

٣- القضاء على البغاء بنوعيه السري والعلني، واعتبار (الزنا) -مهما كانت ظروفه- جريمة منكرة يحد[2] فاعلها.

٤- القضاء على القمار بكل أنواعه من ألعاب ويانصيب ومسابقات وأندية.

٥- محاربة الخمر كما تحارب المخدرات، وتحريمها وتخليص الأمة من شرورها.

٦- مقاومة التبرج والخلاعة وإرشاد السيدات إلى ما يجب أن يكون، والتشديد في ذلك بخاصة على المدرسات والتلميذات والطبيبات والطالبات ومن في حكمهن.

٧- إعادة النظر في مناهج تعليم البنات ووجوب التفريق بينها وبين مناهج تعليم

(١) أفرط في الأمر: جاوز فيه الحد. وفرّط في الشيء: ضيعه وقدم العجز فيه [لسان العرب، (فرط)].
(٢) في الكتيب: «يجلد».

الصبيان في كثير من مراحل التعليم.

٨- منع الاختلاط بين الطلبة والطالبات، واعتبار خلوة أي رجل بامرأة لا تحل له جريمة يؤخذان بها.

٩- تشجيع الزواج والنسل بكل الوسائل المؤدية إلى ذلك، ووضع تشريع يحمي الأسرة ويحض عليها ويحل مشكلة الزواج.

١٠- إغلاق الصالات والمراقص الخليعة وتحريم الرقص والمخاصرة وما إلى ذلك.

١١- مراقبة دور التمثيل وأفلام السينما والتشديد في اختيار الروايات والأشرطة.

١٢- تهذيب الأغاني واختيارها ومراقبتها والتشديد في ذلك.

١٣- حسن اختيار ما يذاع على الأمة من المحاضرات والأغاني والموضوعات واستخدام محطة الإذاعة في تربية وطنية خلقية فاضلة.

١٤- مصادرة الروايات المثيرة والكتب المشككة المفسدة والصحف التي تعمل على إذاعة الفجور وتستغل الشهوات استغلالاً فاحشًا.

١٥- تنظيم المصايف تنظيمًا يقضي على الفوضى والإباحية التي تذهب بالغرض الأساسي من التصييف.

١٦- تحديد مواعيد افتتاح وغلق المقاهي العامة، ومراقبة ما يشتغل به روادها وإرشادهم إلى ما ينفعهم وعدم السماح لها بهذا الوقت الطويل كله.

١٧- استخدام هذه المقاهي في تعليم الأميين القراءة والكتابة، ويساعد على ذلك هذا الشباب المتوثب من رجال التعليم الإلزامي والطلبة.

١٨- مقاومة العادات الضارة اقتصاديًا أو خلقيا أو غير ذلك، وتحويل تيار الجماهير عنها إلى غيرها من العادات النافعة، أو تهذيب نفسها تهذيبا يتفق مع المصلحة، وذلك كعادات الأفراح والمآتم والموالد والزار والمواسم والأعياد وما إليها، وتكون الحكومة قدوة صالحة في ذلك.

١٩- اعتبار دعوة الحسبة ومؤاخذة من يثبت عليه مخالفة شيء من تعاليم الإسلام أو

الاعتداء عليها، كالإفطار في رمضان وترك الصلاة عمدا أو سب الدين وأمثال هذه الشئون.

٢٠- ضم المدارس الإلزامية في القرى إلى المساجد وشمولهما معًا بالإصلاح التام من حيث الموظفين[١] والنظافة وتمام الرعاية، حتى يتدرب الصغار على الصلاة ويتدرب الكبار على العلم.

٢١- تقرير التعليم الديني مادة أساسية في كل المدارس على اختلاف أنواعها كل بحسبه وفي الجامعة أيضًا.

٢٢- تشجيع تحفيظ القرآن في المكاتب العامة الحرة، وجعل[٢] حفظه شرطًا في نيل الإجازات العلمية التي تتصل[٣] بالناحية الدينية واللغوية، مع تقرير حفظ بعضه في كل مدرسة.

٢٣- وضع سياسة ثابتة للتعليم تنهض به وترفع مستواه، وتوحد أنواعه المتحدة الأغراض والمقاصد، وتقرب بين[٤] الثقافات المختلفة في الأمة، وتجعل المرحلة الأولى من مراحله خاصة بتربية الروح الوطني الفاضل والخلق القويم.

٢٤- العناية باللغة العربية في كل مراحل التعليم وإفرادها في المراحل الأولى عن غيرها من اللغات الأجنبية.

٢٥- العناية بالتاريخ الإسلامي والتاريخ الوطني والتربية الوطنية وتاريخ حضارة الإسلام.

٢٦- التفكير في خير الطرق لتوحيد الأزياء في الأمة تدريجيًّا.

٢٧- القضاء على الروح الأجنبية في البيوت؛ من حيث اللغة والعادات والأزياء والمربيات والمرضعات... إلخ، وتمصير ذلك كله وبخاصة في بيوت الطبقات الراقية.

---

(١) في الأصل: «الموظفون».
(٢) في النذير: «جعل».
(٣) في النذير: «بصتل».
(٤) في النذير: «تين».

٢٨- توجيه الصحافة توجيهًا صالحًا وتشجيع المؤلفين والكاتبين على طرق الموضوعات الإسلامية الشرقية.

٢٩- العناية بشئون الصحة العامة، من نشر الدعاية الصحية بمختلف الطرق، والإكثار من المستشفيات والأطباء والعيادات المتنقلة، وتسهيل سبل العلاج.

٣٠- العناية بشأن القرية من حيث نظامها ونظافتها وتنقية مياهها ووسائل الثقافة والراحة والتهذيب فيها.

ثالثًا: في الناحية الاقتصادية

١- تنظيم الزكاة دخلاً ومنصرفًا بحسب تعاليم الشريعة السمحة، والاستعانة بها في المشروعات الخيرية التي لابد منها كملاجئ العجزة والفقراء واليتامى وتقوية الجيش.

٢- تحريم الربا وتنظيم المصارف تنظيمًا يؤدي إلى هذه الغاية، وتكون الحكومة قدوة في ذلك بالتنازل عن «الفوائد» في مشروعاتها الخاصة بها كبنك التسليف والسلف الصناعية وغيرها.

٣- تشجيع المشروعات الاقتصادية والإكثار [منها، وتشغيل][(1)] العاطلين من الوطنيين فيها، واستخلاص ما في أيدي الأجانب منها للناحية الوطنية البحتة.

٤- حماية الجمهور من عسف الشركات المحتكرة وإلزامها حدودها والحصول على كل فائدة ممكنة للجمهور.

٥- تحسين حال الموظفين الصغار برفع مرتباتهم واستبقاء علاواتهم ومكافآتهم وتقليل مرتبات الموظفين الكبار.

٦- حصر الوظائف وخصوصا الكثيرة منها، والاقتصار على الضروري، وتوزيع العمل على الموظفين توزيعًا عادلاً والتدقيق في ذلك.

٧- تشجيع الإرشاد الزراعي والصناعي، والاهتمام بترقية الفلاح والصانع من الناحية الإنتاجية.

---

(١) في النذير: «ومنها تشغيل».

٨- العناية بشئون العمال الفنية والاجتماعية، ورفع مستواهم في مختلف النواحي الحيوية.

٩- استغلال الموارد الطبيعية كالأرض البور والمناجم المهملة وغيرها.

١٠- تقديم المشروعات الضرورية على الكماليات في الإنشاء والتنفيذ.

وبعد...

فهذه رسالة الإخوان المسلمين نتقدم بها، وإنا لنضع أنفسنا ومواهبنا وكل ما نملك تحت تصرف أية هيئة أو حكومة تريد أن تخطو بأمة إسلامية نحو الرقي والتقدم، نجيب النداء ونكون الفداء، ونرجو أن نكون قد أدينا بذلك أمانتنا وقلنا كلمتنا. والدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وحسبنا الله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

* * *